

# من أسرار القرآن : إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين ..



الثلاثاء 1 نوفمبر 2011 12:11 م

## د / زغلول النجار :

أجمع المفسرون علي أن الكعبة المشرفة هي أول بيت وضع في الأرض، وتعددت الروايات في تحديد من بني هذا البيت العتيق، وإن كان من الثابت قرآنا وسنة أن الملائكة بنته عند تمام خلق السماوات والأرض

وكانوا أول من طاف به ثم تهدم البيت وأعيد بناؤه عدة مرات، إلي أن أمر الله - تعالي - أبا الأنبياء إبراهيم وولده إسماعيل - علي نبينا وعليهما من الله السلام - أن يرفعا هذا البيت من قواعدهم ثم تهدم البيت بعد أن بناه إبراهيم عدة مرات وأعيد بناؤه

## من الدلالات العلمية للآية الكريمة

أولا: أن الكعبة المشرفة هي أول بيت وضع علي سطح الأرض:

إن هذا النص القرآني الكريم واضح الدلالة علي أن الكعبة المشرفة هي أول بيت وضع للناس والتعبير ( أول بيت) لم يحدد أنه أول بيت للعبادة، وإن كانت الكعبة المشرفة هي أول بيت عبد الله - تعالي فيه علي الأرض وعلي ذلك فالاستنتاج أنه أول بيت علي الإطلاق يبني علي سطح الأرض أقرب إلي فهم دلالة النص ويدعم ذلك وصف القرآن الكريم للكعبة المشرفة بوصف البيت العتيق كما جاء في سورة الحج (آية 29). كذلك فإن التعبير القرآني (وضع للناس) ينفي أن يكون أحد من الناس قد وضعه، أي: بناه ابتداء، مما يدعم القول بأن الملائكة هم الذين بنوا الكعبة المشرفة ثم تهدم هذا البيت العتيق وبنته أجيال من الناس ست مرات علي الأقل، ويؤكد ذلك أن الكرامة والبركة والشرف هي للبقعة المكانية، وليست لأحجار البناء) باستثناء كل من الحجر الأسود ومقام إبراهيم).

ثانيا: أن اليابسة كلها نمت من تحت الكعبة المشرفة: تفيد أحدث النتائج في دراسات علوم الأرض أن كوكبنا مر بمرحلة من تاريخه القديم غمر فيها بالماء غمرا كاملا، فاخفت اليابسة تماما ثم فجر الله - تعالي قاع هذا المحيط الغامر بثورة بركانية ظلت تلقي بحمها فوق قاع هذا المحيط الأول حتي تكونت سلسلة جبلية في وسطه تشبه ما يعرف اليوم باسم (حيود أواسط المحيطات) وهي سلاسل من الصخور البركانية والرسوبية المختلطة، تجري بطول أواسط كل المحيطات الحالية، وتغذيها الانشطة البركانية فوق قيعان المحيطات باستمرار، علي فترات متبادلة من النشاط والهدوء حتي تظهر بعض قممها فوق مستوي سطح الماء في المحيط لتكون عددا من الجزر البركانية مثل كل من جزر هاواي، واليابان، والفلبين، وإندونيسيا وغيرها والسلسلة الجبلية التي تكونت فوق قاع المحيط الأول الغامر للأرض ظلت تنمو بتواصل نشاطها البركاني حتي برزت أول قمة منها فوق مستوي سطح الماء فكانت أرض مكة المكرمة، فأمر الله - تعالي ملائكته ببناء الكعبة المشرفة علي هذه القطعة الأولى من اليابسة، ولذلك قال رسول الله - صلي الله عليه وسلم -: كانت الكعبة خشعة علي الماء فدحيت منها الأرض (الهروي، الزمخشري). وقال عليه أفضل الصلاة وأزكي التسليم: دحيت الأرض من مكة فمدتها الله تعالي من تحتها فسميت أم القري (مسند الإمام أحمد). وفي شرح هذين الحديثين الشريفين ذكر كل من ابن عباس رضي الله عنهما وابن قتيبة (أرضاه الله) أن مكة المكرمة سميت باسم أم القري لأن الأرض دحيت من تحتها لكونها أقدم الأرض

والدحو في اللغة هو المد والبسط والإلقاء، وهي كلمة جامعة للتعبير عن ثورة البركان الذي يوسع من امتداد طفوحه البركانية كلما تجدد نشاطه وذلك بإلقاء مزيد من تلك الطفوح وأخرج كل من الطبراني والبيهقي عن ابن عمر - رضي الله عنهما - موقوفا عليه أنه (أي البيت الحرام) كان أول ما ظهر علي وجه الماء عند خلق السماوات والأرض زبدة (بفتح الزاي) أي كتلة من الزبد بيضاء فدحيت الأرض من تحتها وقد ظلت الثورات البركانية فوق قاع المحيط الأول تلقي بحمها حتي تعددت الجزر البركانية فيه وبدأت تتلاحم مكونة كتلة أرضية واحدة تعرف باسم القارة الأم أو أم القارات

ثم شاءت إرادة الله - سبحانه وتعالى أن يفتت تلك القارة الأم بشبكة من الصدوع إلي القارات السبع التي نعرفها اليوم وكانت هذه القارات أشد قربا إلي بعضها البعض من أوضاعها الحالية، ثم أخذت في الانزياح متباعدة عن بعضها البعض حتي وصلت إلي أوضاعها الحالية ولا تزال قارات الأرض السبع في حركات مستمرة، ولكنها حركات بطيئة لا يشعر بها الإنسان وإن أمكنه قياسها بأجهزته المتطورة

ثالثا: أن مكة المكرمة تمثل وسط اليابسة:

في دراسة لتحديد اتجاهات القبلة من المدن الرئيسية في العالم لاحظ الأستاذ الدكتور حسين كمال الدين - رحمه الله - تركز مكة

المكرمة في قلب دائرة تمر بأطراف القارات السبع الحالية واستنتج من ذلك أن اليابسة موزعة حول مكة المكرمة توزيعاً منتظماً علي سطح الكرة الأرضية، بمعنى أن هذه المدينة المباركة تعتبر مركزاً لليابسة ويؤكد ذلك أن اليابسة قد دحيت من تحتها كما ذكر رسول الله - صلي الله عليه وسلم - في أحاديثه، وكما أشار ربنا في محكم كتابه، مخاطباً خاتم أنبيائه ورسله - صلي الله عليه وسلم - فيقول له: وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه ولتنذر أم القرى ومن حولها (الأنعام:92). وقال وهو أحكم القائلين: وكذلك أوحينا إليك قرآنا عربيا لتنذر أم القرى ومن حولها (الشورى:7).

وقد حاول عدد من المستشرقين اقتطاع هذين النصين الكريمين من مضمونهما، وقصر تعبير (أم القرى ومن حولها) علي أهل مكة وبعض قري جنوب الحجاز من حولها، واعتباره معارضا للعديد من النصوص القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة التي تؤكد عالمية الرسالة المحمدية الخاتمة، وذلك من مثل قول ربنا - تبارك وتعالى مخاطباً خاتم أنبيائه ورسله - صلي الله عليه وسلم: - قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً (الأعراف:158). وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين (الأنبياء:107). وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ولكن أكثر الناس لا يعلمون (سبأ:28). تبارك الذي نزل الفرقان علي عبده ليكون للعالمين نذيراً (الفرقان:1).

ومن مثل قول المصطفى صلي الله عليه وسلم -: أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي وذكر منهن: وكان النبي يبعث إلي قومه خاصة وبعث إلي الناس عامة (البخاري، النسائي).

وهذه الحقائق لم تتوصل العلوم المكتسبة إلي شيء منها إلا في العقود المتأخرة من القرن العشرين، وورودها في كتاب الله، وفي أقوال رسول الله - صلي الله عليه وسلم - من قبل ألف وأربعمائة سنة يقطع بأن القرآن الكريم هو كلام الله الخالق، ويشهد للرسول الخاتم الذي تلقاه بالنبوة وبالرسالة، فصلي الله وسلم وبارك علي سيدنا محمد وعلي آله وصحبه ومن تبع هداه ودعا بدعوته إلي يوم الدين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين